حـــوار حـــول

العفـــــة

شخصيات المحاورة:

صونيا: صاحبة المنتدى الأدبي، سيدة ثرية جميلة مثقفة.

سليمان: مثقف يحمـل لــواء العقــل وسيادة قوانينــه.

حســام: شاعــر مبـدع يملك ثقافة موسوعية، محبط.

عبـلة: أستاذة فنون.

تيريز: باحثة في مختبر.

جوزيف: مدير فندق.

صونيا:

يـــا حبيبي كلما الليـــــــل شـــدا	فـــوق أوتـــــار السكون المعتم
إرفـــع الطـــرف وغنـي للصدى	فهـــو همسٌ مـن فـؤاد مضرم

هذا الإنسان الذي ما يفتأ قلبه ينبض بالأحاسيس الراعفة، يهفو الى المدى البعيد، الى عـــالمٍ مـــن نـــورٍ ونـــار، تتراقص فيه الأحلام بقدودٍ متمـــايلةٍ وخصورٍ منكسرة، من العيون يقطر الأنس ومن الشفاه تقطر البسمات المعطرة، أحلام أعناقها مشرئبةٌ دائماً الى الأعلـــى، أبصارها تسبر خبايا الآفاق، إنه الإنسان الذي لا يستطيع أن يقنع نفسه أنه مجــرد جسدٍ تجذبه الأرض بقوة سبعين كيلوغرام، إنه الإنسان الذي يتحسس كل عضوٍ فـــي جسده بأصابع مرتعشة ويسأل، هل هـذا هو أنا؟ أم أناي سجينته المحكوم عليها بالمــؤبد، هــل هذا السعال الذي يرجُّ صدري له علاقـة بأناي؟ هل هذا السائل اللزج يخرج مني أم يُرمـــى عليَّ؟ أنا التي إشتقت الـــى شمس الفجر فراشاً وبدر التمّ حبيباً ونجمة الصبـــاح نديماً، هــل هاتين العينين الخضراوين شيءٌ يخصني أنا، وأنا طوال حياتي أحنُّ الى العيون السود، وعندما أسمع صوت فيروز وهي ترندح " شو بيعملو فيي العيـــون السود" أحسُّ دمـــوع الحنـــان تنهمر فوق خدودي، أحسُّ أني من عالم آخـــر، رجـاله بيض الوجوه سود العيون بقاماتٍ مديدة أكتاف عريضة، يمشون فوق الريح وهم يغنون بأصواتٍ متناغمة.... بقـــدم الروح نمشي، يحدونا الشوق الى خيـــام الحبيب، هنـاك حيث مجالس العاشقين، حيث نشرب الإبداع بكؤوسٍ من نور، حيث نبني العـــوالم بالكلمات الملـــونة، كوكباً إثر كوكب ومجرةً إثر مجرة، لقد سمح لنا الله أن نشاركه لعبـــة الخلـــق والإبداع، سمح لنا أن نشكل ذواتنا كما نريد، قال لنا أعطيتكم قبساً من نـــور عقلـــي وخيالي، وخيرتكم في تصوراتكم وأعمالكم، وأنا أعدُّ الجوائز للأكثر إبـــداعاً منكم، أمـــا الكسالى الخـاملين فلهم سجن الصلصال سأحبسهم فيه مكبوتين مقهورين خاضعين لتقلبات تفاعلاته العبثية.

حسـام:

يــا مــن يعذبني بمبسم ثغــره وبزهــو صــدرٍ جيبــه متفتح
يسطــو علــيَّ بغنجـه ودلالـه ورخيم صـوتٍ بالغنــاء يرندح

سيدتــي.. من إرتعاشات شفتيك وأنت تتكلمين تــولد حركــة المدّ والجزر في البحار والمحيطات، يولد قانــون الجاذبية الذي يجعلنا ندور حول نقطة بيكار دائرة الجمال، هائمين منعتقين مــن عبــودية الزمــان والمكان.

سيدتــي.. هذا الذي أرى ليس ماءً وتراب، ليس حمأة طينٍ لازب، ليس مركباً تتفاعل عناصره باستمرار، إنــه لطيفٌ وليس كثيف، بسيطٌ روحاني وليس مركب جسماني، نــورٌ شعشعاني أعطــاه الخالق شكلاً ليبرهن أنه موجــود، وأعطاه أبعـاداً لا متناهية ليبرهن أنه منزه لا تحيط به العقول، سيدتي إسمحي لي أن أسكب بسماتك في قوالب الحروف مخافة أن يجذبها المدى الى البعيد البعيد، إسمحي لي أن أسكب الأنس الذي يقطر مــن عينيك فــي قــوالب الكلمات لأؤمن إيمـاناً يقينياً أنه منذ البدء كان الكلمة، سيدتي هل تسمحين لي أن أطلب صداقة حبيبك القمر، فالصداقة لا تعرف الغيرة ولا الأثرة ولا غريـزة التملك، هل تسمحين لي أن أشرب كأساً مع نديمتك نجمة الصباح فأنا مدمن فــرحٍ مـذ ساعة ولدت، هــل تسمحين أن أدّعــي صداقتك لأدق علــى باب مدينة الشمس فتفتح لــي الأبواب وأدخل بزهو المنتصرين.

صونيـا: بضميــر الأحاسيس نتــذوق الجمــال، وبالشعــر نعبــر عنــه، وإذا كـانت المحسوسات هــي بدايــة الجمــال والمطلق الإلهــي هــو نهايته، فهذا يعني أنّ زمان ومكان الشعــر لا متنــاهٍ، دائماً يفاجئنا بالجديد البكر الذي لم ينطق به لسان أنسيٍ من قبــل، ولكننا اليــوم مجتمعون لنتحاور فــي مفهوم العفــة التي نفر منها ملوك المال والأعمال والسلطة، وعشقها روَّاد الزهــد والتصوف، العفة التي قسّمها أفلاطون في محاوراته الى عفــة الجسد وعفــة النفس وقال أنهما متلازمان لا يكتمل كيان الأولى إلا بالثانيــة، ولكــن البشــر شــاؤوا أن يفصلوا بيـن الإثنتين، فأخبــرنا التاريخ عــن أشخاص مــارسوا عفــة الجسد وامتلأت قلوبهم بالشهوات المعنــوية كشهوة الرئاسة

والسلطة والإستبداد، حتى أنهم وصلوا بجشع شهواتهم الى إدعاء النبوءة والولاية بل حتى الألـوهة، وبعض الأشخاص مارسوا عفـة النفس ولكنهم ضعفوا أمـام شهوات الجسد، فمالت أعناقهم بين ثديي إمـرأة حسناء وسال لعابهم على مائدة طعام عامرة، وجفَّت ألسنتهم شوقـاً الى زجاجة خمرٍ أحسن تعتيقها، وأظنني مصيبة إذا ما حاولنا أن نفهم كل عفـة من العفتين على حدة ثم نحاول التوحيد بينهما إذا أمكن التوحيد.

عبـلة: مـن يتذوق الجمال ويتماهى مع جوهره، لا بدّ له إذا كان صادقاً من ممارسة عفـة الجسد، وذلك لسبب بسيط آن الأوان لكـي نفهمـه، وهـو أنّ الجمال ليس مادة إستهلاكية، إذا إشتهيناه وحاولنـا تملكـه والتمتـع بـه أفسدناه بل دمرناه، الإنسان مع الجمال يجب أن يكـون قريباً على بعـد بعيداً على قـرب.

تيريز: ولكن الإنسان لا يدرك معنـى الشيء إلا إذا تذوقه بشفتيه ولاكه بلسانه، وأنتِ مـن أين أتيت بهذا الإستنتاج أنّ ملامسة الجمـال تفسده، ألا تريـن شفاه النساء كلما إرتشف شهدها الرجـال وسـال رضابها فـي أفـواههم كلما نضجت أكثر واختمرت حوّتها فغدت لعساً، وكذلك الأثـداء لماذا تنهد إلا لتغـري فتـىً ذا صبابـة بالنهل من خمورها بكـرةً وعشيةً، والأرداف التـي تترجرج في مشيتها ألا تعرفين بأنها تُصدر ذبذبات مغناطيسية كهربائية تجذب إليها القلوب فتبدأ بالنبض السريع حتى تكاد تشلع الأضلع لتنعتق فتتطير شوقـاً وترمـي بنفسها كما القطاة فـي الصحراء إذا رأت ماءً نمير.

حسـام: عندما قلت لحبيبتي جمـالكِ طهارتي، كنت على يقين أنّ تذوق الجمـال، نورٌ يقذفه الله في قلـوب الشعراء والفنانين لكي يمجِّد هؤلاء الله من خلال تمجيد مخلوقاته ومبدعاته، فـي تلك الجلسة مع الحبيبة أحسست نفسي أتماهـى مع السيد المسيح وهو يتذوق جمال المجدلية، فتنزرع العفة في جسدها، لتمحو آثار ما علق بذلك الجسد من خبـائث الشهـوات، ومـن بصمات رجـال الملذات الحمـراء، قد لا يكون هناك في الوجـود عاشقٌ يعـادل السيد صبابـةً ولهفـةً، ولكنه حتماً لا يوجد في الوجود عاشقٌ عادله عفـةً وطهـارةً، العشاق الحقيقيون كلهم أصحاب عفةٍ وطهارة.

تيريز: لم أرَ فــي حيــاتي رجــلاً يضارعك فــي الكــذب وزخــرفة الكلمات وتلويـن العبــارات، هل نسيت ليلــة أول البــارحة ونحن نــرقص فــي ملهـى الأوبرج عندما لامست يدك مؤخــرة فتــاةٍ بجانبنا كيف لمعت عيناك لمعةً شيطانيةً، كأنّ موجة شبقٍ جنسيٍ قــد إجتــاحتك، أتظنني غبيــة لم ألحظ ذلك؟ ساعتها طبعت قبلــةً على شفتيك فأحسست ببرودتهما، كانت الحــرارة فـي مكانٍ آخر، أنتم الشعراء الغاوون تنصبون للنساء أشراكاً مــن الكلام الملــون الدافــئ، وعندما تقع مسكينةٌ في الشرك تلتهمونها بأنياب ذئبٍ جائـع، ثم تتظاهرون بالندامة وتحاولون إقناع أنفسكم أنّ طهارتكم عادت إليكم كما يعــود غشاء العذرية للفتيات العاهرات هذه الأيام في ليلة زفافهنَّ.

صونيا: قبــل أن تسترسلوا فتشرّقــوا وتغرّبــوا وتدينوا وتدانوا، دعونا نعرِّف العفة، فالمعرفة برأيي ليست إلا إظهار حدود الأشياء والوقوف عند تلك الحدود.

سليمان: أنا أفهم أنّ الإنسان العفيف هــو الإنسان الذي يرغب بشيء ويشتهيه ويريده بكل جارحةٍ مــن جــوارحه، ولكنه يترفع عنه ويعفّ من أجل شيءٍ أعلى منه وأكثر سمواً.

عبــلة:

لـــو بغيـــر المـــاء حلقــي شرقٌ

كنت كالغصان بالمـــاء إعتصاري

حاولت أن تُعــرّف فــزدت الشيء تجهيلاً، فإما أن توضح بالدليل والبرهان، وإما أن تعطي أمثلة.

حســام: النساء دائماً يطلبن البراهين اليقينية، وغنجهنَّ ودلالهنَّ هو المصدر الرئيسي لزرع الأوهــام والأحلام والأماني وتبديد آخــر يقين في آخــر برهان.

سليمان: سأقدم أمثــلة بسيطة ولكنها مقنعــة، فإذا سألنــا أنفسنـا ما هي أكبر لذة على قائمة ملذات الجسد، لكان الجواب عموماً هي لذة المأكل والمشرب أولاً ولــذة الجنس ثانياً ولذة النظافة والراحة والتطيب ثالثاً ورابعاً وخامساً، لنأخذ لذة المأكل والمشرب

فنحن نشتهي المـوائد العامرة بأطـايب المأكولات والمشروبات من جميع الأصناف، ونتلذذ ونحـن نمضغ الطعـام الشهي، وننتشي ونحن نشرب الخمـور المعتقة، ونهيم فرحاً ونحن ندخـن السيكار الكوبي، ولكننا في قرارة أنفسنا نعلم أنّ التمادي في طلب الطعـام وفـي الإفراط بالشراب، سينتج عنه التخمة وعسر الهضم وضيق النفس، ثم سينتج عنـه السمنة التي تفقدنا تناسق أعضاء الجسد ونضارته، عندها تنقلب الملذات الـى آلام، فجمـال أجسادنا مطلب أساسي لنـا، ومصدر أساسي من مصادر سعادتنا وإعتزازنا بأنفسنا، وهنـا يأتـي دور العلـم ليقول لنا أنه في الوجبة الواحدة يجب ألا نـأكل إلا صنفاً واحداً، وألا نشرب إلا كأساً واحدة، وإلا إعتدينا على أجسادنا بجذب الضرر والقبـح والترهـل والكسل وتسريع الشيخوخة، ثم يتمادى العلم في معلوماته فيقـول لنـا أنّ أعـراض السكـري والضغط وإنسداد الشـرايين والجلطـات القلبيـة والدماغية تعود الأسباب الحقيقية لها من الشراهة في تناول المأكولات والمشروبات، هنـا نعلم معنى العفة فهي الترفع عن ملذات الطعام والشراب رغم توقنا لها من أجل ملذات أرفع منها وأسمى وهي الصحة والرشاقة والنضارة والشباب الدائم.

صونيا: ولكنـي قـرأت عنـد أفلاطون ما معنـاه أنه يجب أن نطلب الشيء من أجل جمال ذاتـه لا من أجـل غيـره، فنحن مثلاً نطلب المعرفة من أجل جمال ذاتها وهو الإتحـاد بالحقيقة، وليس مـن أجل غيـرها، أي من أجـل الحصول على وظيفة تدر المـال الكثير أو خبـرة تجعلنا نربح أكثـر، بناءً عليه يجب أن نطلب العفـة من أجل ذاتها أولاً إذا كنا صادقين، علينا أن نجعل من العفة طبيعة فينا نمارسها بعفوية تماماً كما تمارس الورود نشر عبيرها في الآفاق.

تيريز: هذا مقـام الصوفيين الذين نذروا أنفسهم للسفر الى الله والإتحاد به والتنزه به عـن جميع الرغبات والشهوات بعد أن فنيت نفوسهم في ذاته، وهو مقامٌ كثرت على جوانبـه الأكاذيب والشبهـات والإدعـاءات والهلـوسات والدجـل والشعـوذة، حتـى أصبحت حالتـه كحـالة دينـار من الذهب دفنّاه في بيدر قشّ، أنا شخصياً أفضل أن نبقـى ملتصقين بأرض الواقع فهلا أعطانا صديقنا سليمان مثلاً آخـر عن لذة الجنس أو الراحة.

سليمان: العلاقة بيــن الحبّ والجنس هــي علاقــة وحدة وصــراع أضداد تمـاماً كما العلاقــة بين النفس والجسد، الحبّ يحاول أن يجذبنا الى أصلنا النوراني المنبثق من جوهــر الألــوهة، والجنس يجذبنــا الى حقيقة أنّ جسدنا هو نتاج طبيعي مركب من الطبــائع الأربعة الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، إنه ثمــرة من ثمرات تفاعل الإستقصات أي النار والهواء والماء والتراب لا أكثر ولا أقل، والجنس يمثل في هذا الموضوع إنتصار النــار والرطــوبة علــى الماء والتــراب للحظات، ثم الإرتماء في أحضان الطيـن أي إمتزاج الماء والتراب دهراً من الزمن، وهذا يفسر كيف أنّ نهاية الإفــراط الجنسي هــو همود الجسد وركوده، بل نفوذ الحرارة منه، عندها تفوح منه رائحة البــرودة والعفونة كما نرى ذلك في أجساد العهار والذين شربوا كأس الجنس حتى الثمالة كيف إنقلبت أجسادهم قوالب جليد وعفونة، عندها كرهوا أنفسهم فرمتهم الكراهية في أتـون المخدرات، وهذا هو أقصى عدوانية يمارسها الإنسان على نفسه، أما الذين مارسوا الجنس بشفافية الحبّ وطهــارة الإحتــرام المتبادل، فهم الذين بقيت الطبــائع في أجسادهم متــوازنة، ففاح في حدائق أجسادهم شذى ورد التناسق وعبير ياسمين الإعتدال، فكانت أجسادهم كقوالب نورٍ مجمد ما أن تمسَّه حتى يكاد يضيء.

حســام: عفــة الجسد هــي نفسها جمــاله، وهــي إزالة الفضلات منـه ليغدو نقياً شفافاً كتمثال مــن الكريستال، وهنــا دعونــي أسأل سؤالاً بريئــاً، ألا تدخل المادة الجنسية المكدسة في الجسد المكبوت في باب الفضلات التي تعتبر إزالتها عفــة بل فضيلة؟

تيريز: أنت تفــرز المــادة من عينيك، وأنت تلتهم بهما أجساد النساء بنظراتك الذئبية ألا يكفيك ذلك؟

عبــلة: تظلمين صديقنا حســام كثيراً، فليس من مدة بعيدة وكنا في حفل عشاءٍ جامع، سمعت إمرأةً تلتصق به وتهمس في أذنه بيت شعر:

عصافيـــرٌ بعينيــــك | وأنــــوارٌ وأقمــــارُ
وإن مــالت بــي الدنيـا | فتفــــاحٌ وجلنــــارُ

حســام: صديقتي تيريــز تستفزني قصداً كما يستفــز الصائغ ذهبــه فيــرميه في النار المتأججة ليكتشف نقــاءه أو زيغه، إطمئني يا صديقتي فعلى أرض الصداقة لا مكان

للشهوات المحمومة، صداقتي نـورٌ يضيء ولا يحـرق، يكفـي أن تنظري الى نفسك فـي المـرآة فترين كيانـك كيف يرهج ويتـألق كما حبة ماس في تاج ملكة، تجسدين الصداقة ثم تحرضين عليها هذا عمـلٌ شيطاني.

صونيا: أظـن التعريف الأفضل للعفـة هـي مـراعاة قـوانين الطبيعـة في مسلكيات الجسد، طالما الجسد هو نتـاج طبيعي ونحن متفقون على ذلك.

جوزيف: هذا صحيح ولكن نحن لا نعلـم مـن قوانين الطبيعة إلا النزر اليسير، ماذا إكتشفت العلـوم من قـوانين الطبيعة غير الفتات حتى اليـوم، ألا نرى كل سنة كيف تأتينا حقـائق فيزيائية وكيميائية لتنقض كل ما عرفناه سابقاً؟ سأضرب مثلاً على ذلك علم الطب يقـول لنـا أنّ البروتينات مادة أساسية لبنـاء الجسم البشري وهذا صحيح، ويقـول أنّ مصادر البروتين هـي اللحوم الحيوانية والبحرية والمكسرات وهذا أيضاً صحيح، ولكن هنـاك شعوبٌ لم تذق في حياتها لحوماً لا حيوانية ولا بحرية ولم تأكل مكسرات وذلك لفقـرها المدقـع وعقـائدها الدينية، ولم تأكل إلا النشويات ورغم ذلك بُنيت أجسامها وتوفـر لها مـادة البروتين فكيف حصـل ذلك؟ جـوابي أنهـا أسـرار الطبيعة وأنّ الإنسان قد عرف شيئاً وغابت عنه أشياء فلنتواضع في هذا المضمار.

تيريز: العفـة كالوصايا العشر أكثـرها سلبـي وأقلهـا إيجابي، هي ألا نلوث أجسادنا بالأوساخ والميكروبات والجـراثيم والفـايروسات، وبمـا أننـا نعيش اليـوم في أسوأ عصور التلوث، فالمدن ملوثة بالغازات السامة وبخار العفونات السامة، والمأكولات ملـوثة بالغش والتـزوير والفساد والتهجين وإدخـال المـواد الحـافظة وغيره كثير، والمـاء بدوره ملـوث سواء كان للإستعمال أو للشرب، ولكن يبقى المصدر الرئيسي للتلوث هـو ما تفرزه العلاقات الجنسية الحرة والغوغائية من جراثيم وفايروسات قد تقضي على الجماهير التي لا عقـل لها لتعي الحقائق، ولا عفـة لديها لتحتمي بها.

عبـلة: أعطيتم ما للجسد للجسد فهـلا تعطون ما للنفس للنفس.

جوزيف: وما نيـل المطالب بالتمني ولكن تؤخـذ الدنيـا غلابـا

ألـذ ملذات النفس هي الغلبة، كل كائن حيّ بوعيه أو بلا وعيه يطلب الغلبة والترؤس والإستئثار والإستبداد بمن هـو أضعف منه، إنه الظلم الذي هو من شيم النفوس، وما التعفف في هذا المجال إلا لتغطية ضعف أو نقص أو حتى شذوذ.

سليمان: فــي هذا المجال لا بــدّ من العودة الى أفلاطون في رؤيته للنفس بأنها مؤلفة من طبـائع إيجابية لذتها البناء، وطبائع سلبية لذتها الهدم، فالمحبة والصداقة والعطاء والرحمة والعدالة هي من طبائعها البناءة، والظلم والإستبداد والتعدي والإستئثار هي مــن طبائعها الهدامــة، وهنا يدخل العقـل كقوة تعقل الطبائع الهدامة وتنمي الطبائع البناءة في صراع الطبائع النفسية المحتدم والذي لا يتوقف طرفة عين، ولهذا بالذات كان العقـل هو تجسد كلمة الله على أرض الواقع.

صونيا: أنا لا أشك أنّ فــي النفس البسيطة الــروحانية الــواحدة المـوحدة غير القابلة للتجـزئة، طبــائع رحمانيــة وطبـائع شيطانية، كما لا أشك أبداً أنّ النظام الرأسمالي الذي غايتــه الأولــى والأخيرة الربــح وتكديس الثــروات في أيدي قلة من الناس هو نظــام يساعد علــى نمــو الطبــائع الشيطانية وضمور الطبــائع الرحمانية في النفس البشرية.

جوزيف: ولكــن لا تنسي يــا صديقتي أنّ كل المحــاولات التــي قــام بها من يدَّعون الإصلاح وينشدون العدالة في إلغاء التفاوتات الطبقية منيوا بالفشل منذ فجر التاريخ مع فيثاغورس وأفلاطون وحتى عصرنا الحالي مع ماركس ولينين وماو وبول بوت وتيتــو وعبـد النــاصر، حــاولوا الإصلاح فـزادوا الأمـور تعقيداً، وزاد بإصلاحهم التخــريب والظلــم والإستبداد وكمية الرعــاع، ولعــل السبب الأســاسي فــي ذلك أنّ الإنسان حتــى الذي إبتدأ بدايـة إصلاحية، ما أن يحس أنّ مراكز القوى أصبحت في يده حتى يستكبر ويستبد ويقع فــي عشق ذاته وعبادتها، ويطلب من الآخرين عبادتها ولو بقـوة العسس والمخابرات والأزلام، فلا مجال للتعفف في هذا المجال.

تيريز: كلٌّ يفتش عــن كرسي لمؤخرتــه، أمــا العفــة والعدالــة فما هما إلا شعارات يطعمها الأقـوياء للضعفاء، كمن يــأكل البطيخ ويُطعم قشــره للحمار فيسعد الحمـار وتأخذه نشوة الفرح.

عبـلة: ولكن الفـرد الذي يتصور سعادته بتعاسة الآخرين، وقوته بضعف الآخرين، وكرامته بإذلال الآخـرين، هو فـردٌ مخطيء أولاً ومريض ثانيـاً، هو مخطيء لأن الإنسان كائـنٌ إجتماعـي بالفطرة تنعكس على مرآة ذاته أحوال الجماعة من خيرٍ أو شـرّ، قوةٍ أو ضعف، سعادةٍ أو تعاسة، إنه مرآة للجماعة شاء أم أبى، علم أم لم يعلم، وهو مريضٌ لأنه يبني على مقدماتٍ مغلوطةٍ لن تقوده إلا الى نتائج مغلوطة.

جوزيف: دعـوني هنـا أسـأل سؤالاً قد يبدو غريباً، هل الملائكة يمتلكون العفة كما يشـاع عنهم؟

سليمان: بالطبع لا يمتلكـون العفـة لأنهم ببساطة لا يمتلكون الشهوة، فالعفة والشهوة وحدة وصـراع أضداد، ألم نقـل أنّ العفة هي أن تشتهي الشيء بكل ذرة من ذرات كيـانك، ثم تتعفف عنـه مـن أجل شيءٍ أعلى منه وهو الشرف والمروءة، العفة هي الصراع الذي ينتصر فيـه الشـرف علـى الدنـاءة، والفـروسية علـى الـزحفطونية والمروءة على التخاذل والتخنث، والإقدام على الإنتكاس والإرتكاس، طالما الملائكة لا يمتلكون الشهوة فمن أين لهم أن يمتلكوا العفة.

صونيا: إذن لا يحـقّ لنا أن نقـول أنّ الملائكة مخلوقات خيّرة والشياطين مخلوقات شريرة.

سليمان: ومـن قال ذلك، أنه يوجد في الأساس ملائكة وشياطين، فالملاك هو الإنسان الذي إستطاع عقلـه أن يمتلك جهلـه، ومـروءته أن تمتلك سفالته ودناءته، وعفته أن تمتلك شهوتـه، وكرمـه أن يمتلك بخلـه، أمـا الشيطان فهو الإنسان الذي شطنت به شهوته وسفالتـه ودنـاءته وأنانيته عن السراط المستقيم الذي هـو قـوانين العقـل.

صونيا: رأس العفـة بنظري هـو المحافظة علـى كيـان الأسرة متماسكاً فـي وجـه عواصف العواطف والشهوات والإغراءات الجانبية، الأسرة المتضامنة على الخير، المتعـاهدة علـى الوفـاء والتضحية، هـي الضمان الوحيـد لنشوء أجيـال تفهم معنى الشرف والمروءة والفضيلة، أجيـال بإمكانها التـواصل مع الحقيقة والعدالة والمحبة والسلام، أجيـال تعيش في قلب الله ويعيش الله في قلبها.

حسـام: لا يمكـن تصور مجتمع شريف إذا لم يكن تحصيل حاصل أسر شريفة، نحن اليوم نعاني مـن مشكلة أولاد الأزقة، أولئك الأطفال الذين أنجبتهم أسر متصدعة، أو أنجبتهم الشهوة المنفلتة مــن أي عقــال يعقلها، إنهم مستودعات حقدٍ وكراهيةٍ وخبثٍ وإحتيال وإنتهازية، أولئك الأطفال عندما يكبرون سيكونون جيشاً لأي مشاغب ينفخ بوق التخريب، ولأي خارج يخرج على القانون، في يده بعض القوة من مالٍ أو دعمٍ خارجي.

تيريز: وماذا تقــول فــي الأولاد المجهولي الأب فيما يسمى بالعــالم المتمدن؟

عبــلة: هناك على الأقــل تحــاول الدول أن تــرعاهم، ورغم ذلك هم قنــابل موقـوتة تنتظر الفــرص الملائمة لتنفجر.

جوزيف: الثــورة الصناعية فــي أوروبا ولاحقــاً فــي أميـركا، هي التي ساهمت في تصدع مؤسسة الأســرة وتفككها، ثم السمــاح للنساء بالإنجــاب، بعد الحرب العالمية الثــانية، خارج إطــار الزواج ساهم في إنتشار الظاهرة، ونحن اليوم قد تجاوزنا ذلك السوء الى سـوءٍ أشدّ وأدهى، فأصبح من حقّ المرأة أن تقترن بإمرأةٍ مثلها ومن حقّ الرجــل أن يقترن برجــلٍ مثله، ومن حـقّ الفريقين تبني الأطفال... وبعدها تتحدثون عــن العفــة! قمــة شروط العفــة الأساسية عدم مخالفة قـوانين الطبيعة، فالذكر الذي يقترن بذكر والأنثى التي تقترن بأنثى، ماذا تعتبرون ذلك إلا مخالفةً صارخة لقوانين الطبيعة، ومخالفــة مرعبــة لقــوانين العقـل التي يتحدث عنها صديقنا سليمان صباح مساء.

حسـام: دعونــي أعــود لأذكركم بطروحاتي العقلانية، وهو أنّ لا عاصم من التكالب على الشهوات الحمــراء، والنزعات المتطرفة إلا الإحساس الجمـالي، فلنسعى لتنمية الإحساس الجمـالي عند الأفراد والجماعات لنحصل على مبتغانا، أفراد عفيفي النفس والجسد، مجتمعات منتظمة تحت لــواء العــدالة وتسعى صادقةً لتعيشها واقعاً يومياً، هــل نسيتم أنّ أفلاطون ربط إنتظــام مدينته وعــدالتها بالموسيقى الراقيــة، وقال أنّ التنــاغم داخــل الألحان المتشكلة من نغمات متباينة يساعد على تناغم ما تنافر داخل النفس ويرسخ أسس العدالة ويمهد لولادة المدينة الفاضلة.

تيريز: لعنة العصر الحديث في موسيقاه التي وُجدت لتهييج الغرائز وإبراز الرغبات المتضاربة وتنمية تضاربها، إنها موسيقى شيطانية ورقص شيطاني ورسومات تجريدية شيطانية وحتى شعر شيطاني لا همّ له إلا أن يكون مقبلات ناجحة لتأجيج الشبق الجنسي ثم تحويله الى شبق عدواني في كل شيء، في التعصب السياسي، في التعصب الديني، في التعصب الأيديولوجي، في التعصب الأثني، نحن نعيش عصر الشبق وهاكم النتائج أمام أعينكم.

سليمان: برأيي المتواضع جداً كل إنسان يعتقد أنّ هذه الحياة التي يعيشها هي فرصته الأولى والأخيرة للوصول الى المال والنساء والسلطة والسيادة، لا يمكن أن يكون عفيفاً، بل سيكون إنتهازياً في إقتناص الفرص، وعجولاً في الوصول الى مبتغاه، بل مغامراً في الوصول الى مبتغاه، وإذا ما أظهر عفةً فلخوفٍ مما هو أقوى منه، أو لخوفٍ من القانون والعادات الإجتماعية القاسية التي يسبب خرقها النبذ والإضطهاد، ولهذا قال أفلاطون وبعده أرسطو بأنّ النفس جوهر روحاني بسيط غير قابل للفناء، وإنّ الموت هو فقط للجسد المركب، بينما تتابع النفس رحلتها عبر جسد آخر، واليوم هناك الكثير من الأبحاث والوقائع التي تثبت ذلك.

جوزيف: عندما قرأت كتاب نشيد المولى وإطّلعت على الكثير من الفكر الهندوسي الذي أظهرته الفيدا، الشيء الوحيد الذي أقنعني هو فلسفة الكارما التي تقول أنّ الإنسان بتصرفاته يعامل نفسه قبل أن يعامل الآخرين، لأن أعماله ستنعكس على حيواته اللاحقة سلباً أو إيجاباً بنفس القوة، فإذا كانت أعماله عدوانية وشهوانية يسودها الفجور والشره والحقد والحسد والظلم والإستبداد، دفع الثمن في حيواته اللاحقة مذلة وإسترهاناً، وإستزلاماً وعبودية وقهراً وجوعاً ومرضاً، وإذا كانت أفعاله تفيض بالمحبة والإحترام والعدالة والكرم كوفيء في حيواته اللاحقة بالأمان والطمأنينة والكفاية والصحة والعيش في مجتمع عادل يستطيع فيه أن يحقق إنسانيته.

عبلة: إذن معنى ذلك أنّ العفة مدخل الى السعادة سواء بحياته الحالية أو بحيواته اللاحقة؟

تيريز: ولكـن علينا ألا نخلط بين العفــة والــزهد، فأنا شخصياً أعتبر الـزهد تصرفاً سلبياً يخالف قـوانين العقل وقوانين الطبيعة، ولذلك هو يدخل في باب تعدي الإنسان علــى نفسه، وإذا ما حاول الزاهد أن يعمم تجربته على غيره يكون في حكم المتعدي على المجتمع برمتــه بـل على الإنسانية جمعاء، أنا لا أفهم كيف يمتنع إنسانٌ ما عن الإستحمام بحجة الــزهد في ملذات الحيــاة الدنيا، أو كيف يكتفي بأكل الخبز والزيت حارماً نفسه من ثمرات الأرض بحجة أنّ ذلك يقربه أكثر من الله.

صونيا: هنــاك أمرٌ مرَّ سريعاً ولم أقتنع به، كيف يصح لنا أن نعتبر الملائكة كائنات غيــر خيّــرة وغيــر خلوقــة وغير عفيفــة، وكيف يصح أن نعتبر الجنّ والشياطين كائنات غيــر شريرة وغيــر مظلمة وغيــر عدوانية؟

سليمان: الأمـر بسيط يا صديقتي.. فالملائكة كما ورد ذكرها كائنات نورانية لا ظلام في كينونتها، وهي مبرمجة على الخير والصلاح والعفة والمحبة، والشياطين كائنات ظلمانية لا نــور فــي كينــونتها وهــي مبرمجة على الشرّ والعدوانية والشراهة، أما الإنسان فهــو وحــدة وصــراع أضداد بين النــور والظلمة، بيــن الخيـر والشرّ، بين الجمــال والقبح، بين الحــقّ والباطل،وهو سيد حرّ يملك الإرادة التي بإستطاعتها أن تختار ما تشاء وهي مسؤولة عن إختياراتها، هنا يجب أن نفكر سويـةً ونسأل أنفسنا، هل الكائنات المبرمجة حـرة في إختياراتها بالطبع لا، هل هناك صراع أضداد داخل جوهــرها بالطبع لا، وهنا تكمن العبــرة الإلهية، العفة والفضيلة والشهامة والمروءة والمحبة والعدالـة، وكذلك الكراهية والعدوانية والشراهة والإستبداد كل هذه الأضداد هــي صفات يوصف بها فقط الكائن الحــيّ الإنسان، لأنه الوحيد في المخلوقات يملك العقــل والحريــة والسيادة والإحساس بالمسؤولية، إنه الكائن الوحيد الذي يطبق عليه قــانون النفي ونفي النفي فاعتبروا يا أولــي الألباب.